

الفصل الرابع عشر

**المبادئ التي روعيت في التربية الإسلامية
عند اختيار المناهج الدراسية**

obeykandi.com

فى التربية الحديثة اليوم روعيت ميول الاطفال ورغباتهم فى الطفولة فاختر لهم من المواد الدراسية القصص الخرافية وحكايات عن الحيوان والطيور ومشاهد الطبيعة والتعبير بالرسم والاشغال اليدوية والحركات التوقيعية وأناشيد الطفولة ، كما روعيت الفروق الفردية بينهم والمواد المتصلة بالبيئة المدرسية والنواحى المهنية التى تعد الانسان اعدادا كاملا وتربيته تربية اجتماعية وجسمية وعقلية ووجدانية وعملية وخلقية وتجعله قادرا على كسب عيشه وتكون منه انسانا كاملا ولهذا حفل المنهج بكثير من المواد الدراسية .

واذا نظرنا الى التربية الاسلامية لحظنا انها عند اختيار المناهج الدراسية قد راعت المبادئ الآتية :

١ - أثر المسادة فى تربية النفس وكمالها فدرست العلوم الدينية والالهية لان اشرف العلوم معرفة الله وصفاته اللاتقة به . فالفارابى فيلسوف القرن الرابع الهجرى يضع علم الالهيات فى مرتبة الشرف الاولى ويعده أسمى العلوم وأعظمها . وما سواه من العلوم خدم وتبع له . ولذلك كان بعض العلماء يسمونه أحيانا العلم الاعلى كما يسمون الرياضة بالعلم الاوسط والطبيعة بالعلم الادنى .

وقد ذكر النمرى القرطبى فى كتابه «جامع بيان العلم وفضله» (١) ، ان العلوم عند أهل الديانات ثلاثة : علم أعلى ، وعلم أدنى ، وعلم أوسط ، فالعلم الاعلى عندهم هو علم الدين . والعلم الاوسط : هو معرفة علوم الدنيا . . . كعلم الطب والهندسة . . . والعلم الادنى كالصناعات والفنون العملية مثل السباحة والفروسية والخط وهى المواد التى تكتسب فيها المهارة بتدريب الجوارح والمرانة . ففلاسفة الاسلام كانوا يعتقدون ان العلوم الدينية أفضل العلوم وأشرفها وأسمها وأرقاها وقد اشترطوا لدراستها البعد عن الاغراض المادية والدنيوية فلم يتعلموها لكسب مال أو جاء أو نفوذ أو ارضاء حاكم أو سلطان ولكنهم كانوا يقصدون من تعلمها وتحصيلها ارضاء الله . وقد أثر عن الرسول الكريم انه قال : « لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتجاروا به السفهاء ولا لتحيزوا به المجالس ،

(١) ج ١ ص ١٧٦ .

ولكن تعلموه لوجه الله وللدار الآخرة ، كما اشترطوا لكسب العلم والمعرفة
تطهير النفس من الرذائل والنقائص . قال الامام الغزالي في كتابه فاتحة
العلوم صفحة (٥) وكمال الادمى في قربه من الله تعالى . وانما يقرب
بصناعة العلم . فما دام علمه أكثر وأكمل فهو الى الله أقرب وبملائكته
أشبه . .

وأهم العلوم الدينية : القرآن الكريم ، والتفسير ، والحديث
الشريف ، والفقه ، والالهيّات . ولم تمنع دراسة العلوم الدينية الطلاب
من دراسة المواد الأخرى كالحساب والهندسة والجبر . . . وكان لهم
الحرية في دراستها بشرط ألا تعوقهم عن دراسة الدين .

وقد قسم الغزالي العلوم الى ثلاثة أقسام :

(أ) قسم مذموم قليله وكثيره كالسحر .

(ب) وقسم محمود قليله وكثيره محمود الى أقصى غايات الاستقصاء ، وهو
العلم بالله وسنته في خلقه وهو علم مطلوب لذاته وللتوصل لسعادة
الآخرة .

(ج) وقسم يحمد منه مقدار الكفاية كالنجوم (١) .

فالمثل الأعلى للمنهج في العصر الذي عاش فيه الغزالي هو وضع
العلوم الدينية فوق جميع العلوم .

٢ - أثر المادة في النصيح والارشاد باتباع طرق الحياة الفاضلة
الكاملة كعلم الاخلاق وعلم الحديث والفقه الاسلامي . . . وان اختلج في
صدرك . . ان الاغراض مختلفة في أمر العلوم . . وأردت أن تعرف الأفضل
(منها) فاتبع قول الشاعر المتصوف :

كل العلوم سوى العلوم مشغلة - الا الحديث والا الفقه في الدين
والعلم ما كان قال حدثنا وما سواه فوسواس الشياطين

ولكن هذا القول لم يمنع طلاب العلم من الدراسة والبحث في جميع
العلوم مع التعمق في دراسة الدين .

وقد عنت التربية الاسلامية بالتربية الخلقية في المرحلتين الاولى
والاخيرة من التعليم كما عنت بدراسة العلوم الدينية - وخاصة الفقه -
لأنها أساس الفضائل والاخلاق الكاملة .

(١) الاحياء للغزالي ج ١ ص ٣٦ . بتصرف .

قال أحد تلاميذ الامام الشافعى : كنت يوما عند الامام الشافعى أسأله عن مسائل بلسان أهل الكلام (علماء التوحيد) قال : فجعل الشافعى يسمع منى ثم يجيبنى عنها بأخصر جواب • فلما اكتفيت قال : يا بنى هل أدلك على ما هو خير لك من هذا ؟

قلت : نعم •

قال: يا بنى هذا علم ان أصبت أنت فيه لم تؤجر وان أخطأت كفرت فهل لك فى علم ان أصبت فيه أجرت (أثبت) وان أخطأت لم تأثم ؟

قلت : ماهو ؟

قال : الفقه •

ومن علماء الاسلام من عد دراسة معظم العلوم سواء أكانت دينية أم فلسفية مؤدية الى تحقيق الغاية الروحية والخلقية فأقبلوا على دراسنها بقلوبهم • لتحقيق هذه الغاية الروحية والخلقية قبل أى اعتبار آخر • وهذه النزعة تظهر بوضوح فى اخوان الصفاء ورسائلهم •

وقد شجع بعض فلاسفة الاسلام دراسة علم الجغرافيا الطبيعية لاعتقادهم أن دراسة علم النفس تشوق النفس الى الصعود الى عالم الافلاك والارواح • وشجع آخرون دراسة علم الأخبار وهو علم التاريخ وله منزلة كبيرة فى منهج التربية الاسلامية • فقد ذكر ياقوت فى كتابه : معجم البلدان : أن القرآن يستمد من التاريخ حوادث معينة للعظة والعبرة • وقال المقرئى عن علم التاريخ : « انه من أجل العلوم قدرا وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطرا لما يحويه من المواعظ ... والاطلاع على مكارم الاخلاق ليقتدى بها واستعلام مذام الفعال ليرغب عنها أولو النهى » •

وقال ابن خلدون فى مقدمته : « ان التاريخ يوقفنا على أحوال الماضين من الامم فى أخلاقهم والانبياء فى سيرهم والملوك فى دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء بهم فى أحوال الدين والدنيا معا » ص ٧٦ •

٣ - هناك مواد كان المسلمون يدرسونها لما فيها من لذة فكرية ولذة علمية وهذا هو ما يقصده المثاليون من علماء التربية اليوم من دراسة العلم لذات العلم •• كما أن هناك مواد كان علماء الاسلام ينادون بدراستها لفائدتها العملية المباشرة فى الحياة • فالمنطق كان يدرس لان مراعاته تعصم الذهن عن الخطأ فى الفكر والحساب والهندسة يدرسان ليعتاد المتعلم عادات عقلية ووجدانية خاصة كالدقة فى التفكير والدقة فى القول والعمل ومعرفة

الموارث ، ومواعيد الصيام والمعاملات التجارية ، والفقه يدرس لفهم أحكام الشريعة الإسلامية في العبادات والمعاملات ، والنحو يعلم ليعصم اللسان عن الخطأ في القول ، والقلم عن الخطأ في الكتابة ، ويقرأ المتعلم قراءة صحيحة . ويكتب كتابة صحيحة ، والطب يدرس للوقاية من الأمراض وعلاج المرضى .

٤ - دراسة العلم لانه ألذ شيء في نظر المسلمين . ان الانسان محب للاطلاع بفطرته لهذا عنى فلاسفة الاسلام بدراسة كثير من العلوم والفنون ليشبعوا ما لدى الانسان من ميل فطري الى الاطلاع والمعرفة . وهذا هو النوع المثالي من التعليم حيث يدرس الطالب العلم لذاته العلم ، لان فيه لذة علمية لا نظير لها . قال الحاج خليفة في كتابه « كشف الظنون » ص ١٦ : « والعلم ألذ الاشياء وأفضلها . وشرف العلم اما لذاته أو لغيره والعلم حائز للشرفين جميعا ، لانه لذية في نفسه فيطلب لذاته ولذية لغيره فيطلب لأجله . اما الاول فلا يخفى على أهله أنه لا لذة فوقها لانها لذة روحانية وهي اللذة المحضة أما اللذة الجسمانية فهي دفع الألم في الحقيقة » وقال أيضا : « ليس الغرض من الدرس تحصيل الرزق في هذه الدنيا ولكن الغرض الوصول الى الحقيقة وتقوية الخلق » فالتربية الإسلامية كانت مثالية تطالب بالعلم لما فيه من لذة روحية وللوصول الى الحقائق العلمية والاخلاق النبيلة ، ولم تكن في أساسها مادية بل كانت المادة أو كسب الرزق أمرا عرضيا في الحياة لم يقصد الكسب لذاته بل كان أمرا ثانويا في التعليم . وان من ينظر الى ما تركه المسلمون من التراث الادبي الخالد والتراث العلمي العظيم يجد أمامه ثروة لا نظير لها في العالم . تدل دلالة واضحة على شدة تعلق المسلمين في عصورهم الذهبية بالادب لذاته والعلم لذاته لانهم كانوا يعيشون في عالم روحي لا عالم مادي حيث طغت الناحية الروحية على الناحية المادية .

وقد ادعى الدكتور مكدونالد خطأ في كتابه « الحالة الدينية والحياة في الاسلام (١) » ان التعليم الاسلامي مادي (نفعي) تماما لا يعنى بميول الافراد فالمعرفة لا بد أن تكون ذات فائدة بالنسبة لهذه الدار أو للدار الآخرة والحق أن الدكتور مكدونالد لا يعرف روح التربية الإسلامية ولو عرفها حقاً بدون تعصب للمس مافيها من التربية الروحية المثالية: فقد كان العلماء من المسلمين يجدون لذة في العلم والبحث ويتفرغون للدراسة لما

B. Mc. Donald : Religions Attitude and life in Islam, (١) University of Chicago, P. 12

فيها من لذة علمية ، يقومون بالتدريس من غير أجر ، ولا يقصد الطالب من التعلم ناحية مادية أو نفعية ولا يفكر في التعلم للحصول على وظيفة أو عمل أو نيل مركز أو جاه . فالاساتذة كانوا يهبون حياتهم للعلم والتعليم . والطلبة كانوا يجعلون حياتهم كلها للدراسة والتعمق في العلم ، فقد كانوا يسافرون ويغتربون ويحتملون مشاق السفر والانتقال من بلد الى آخر لتلقى العلم من الاساتذة المشهورين والبحث عنهم وأخذ العلم من مناهله الاولى حبا للعلم . وكانوا متفرغين للعلم مقلدين عليه ، يجدون لذة كبيرة من التعب في سبيل طلب العلم والانتاج العلمي .

فالتربية الاسلامية كانت تميل الى الناحية المعنوية الروحية لا الى الناحية المادية النفعية لا يشك في ذلك من يطلع على أى كتاب قديم في التربية الاسلامية ولم تنس الناحية المادية . وكان التعليم الاسلامي يعنى كل العناية بميول الافراد الطبيعية واستعداداتهم الفطرية ، ويوجههم ويرشدهم الى النواحي التي يميلون اليها بطبيعتهم .

فالدكتور مكدونالد كان مغاليا في دعواه متعصبا فيما رآه . لم يقرأ شيئا من آراء الغزالي أو الفارابي أو ابن سينا أو العبدري أو الزرنوجي أو ابن خلدون في التربية والتعليم . ولو قرأ أى كتاب لأحد هؤلاء الفلاسفة لاقتنع كل الاقتناع بأن التربية الاسلامية ما كانت في يوم من الايام مادية كما هي اليوم في انجلترا والولايات المتحدة الامريكية، والرأى أن المسلمين كانوا شغوفين بالعلم لذات العلم والادب لذات الادب والفن لذات الفن معتنين بالناحية المعنوية للعلوم مراعين ميول الأفراد في الدراسة والتعلم والتوجيه والارشاد . وفي استطاعة كل باحث أن يرى هذا الروح واضحا فيما تركه المسلمون من تراث خالد في العلوم والفنون والرياضة .

وان الروح المثالي في التربية الاسلامية يبدو فيما ذكره الحاج خليفة في كتابه (كشف الظنون) صفحة ١٧ « ان العلوم ليس الغرض منها الكسب بل الاطلاع على الحقائق وتهذيب الاخلاق . وان من تعلم للاحتراف لم يأت عالما وانما جاء شبيهها بالعلماء » فليس الغرض من التربية الاسلامية ماديا صرفا كما يدعى الدكتور مكدونالد ولكن الغرض الاساسي معرفة الحقائق العلمية وتهذيب الاخلاق الانسانية . وان من تعلم ليكون ماهرا في حرفة من الحرف أو مهنة من المهن فلن يكون عالما ولكنه سيكون شبيها بالعلماء كما قال الحاج خليفة . هذه هي التربية الاسلامية المثالية . وليس معنى هذا أن المسلمين أهملوا التعلم لكسب الرزق كلية .

وسنوضح هذه الفكرة فى التعلم المهنى لكسب الرزق فى المبدأ
التالى •

٥ - التعليم المهنى والفنى والصناعى لكسب الرزق :

كانت عناية التربية الاسلامىة بالتربية الروحية والدينية والخلقية
تامة ، يلمس ذلك كل ما اطلع على ما كتبه فلاسفتها وعلمائها ، ولكنها فى
الوقت نفسه لم تهمل توجيه المتعلمين لدراسة بعض المواد أو التدريب على
بعض المهن والفنون والصناعات بعد الانتهاء من حفظ القرآن ودروسهم
الدينية ، لاعدادهم لكسب عيشهم ورزقهم فى الحياة التى تنتظرهم • أنظر
الى ابن سينا حيث قال : « اذا فرغ الصبى من تعلم القرآن وحفظ أصول
اللغة نظر عند ذلك الى مايراد أن تكون صناعته فيوجه لطريقه • فان أراد
الكتابة اضاف الى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس
ومحاوراتهم وما أشبه وطورح الحساب ودخل به الديوان وعنى بخطه وان
أريد أخرى أخذ به فيها •

فدراسة القرآن ومعرفة أصول اللغة كانتا من المواد الدراسية
الاساسية فى المناهج الاسلامىة فاذا انتهى الصبى منهما نظر فى أمره وفى
الصناعة التى يميل اليها وأرشد الى السير فى طريقها حتى يجيدها •
واذا كان يميل الى الادب وأراد أن يكون كاتباً من الكتاب وجب عليه بعد
دراسة علوم اللغة العربىة أن يدرس رسائل الكتاب وخطب الخطباء
ومحادثات الادباء ومناظراتهم ومناقشاتهم وما أشبهها ومرن على المحاسبة
وعنى باجادة خطه ووظف فى الديوان • وان أراد مهنة أخرى من المهن أعد
لها ، حتى يكسب المهارة فيها • أما العناية بالنواحى النفعية والمادية التى
تأتى عرضاً عن العلم والتعلم بطريقة غير مباشرة فتظهر فيما كتبه الادباء
والشعراء فى فوائد العلم ونتائجه وأثره فى التقدم على النظراء والاقربان
والتمتع بالمزايا الادبية والفوائد المادية •

ومما يدل على عناية المسلمين بالخط لكسب الرزق منه القصة
الآتية :

لما حضرت الوفاة أبا الغزالى وصى به وبأخيه أحمد الى صديق له من
المحبين للخير وقال له : انى آسف كثيراً لعدم تعلمى الخط وأشتهى
استدراك ما فاتنى فى ولدى هذين وهما محمد وأحمد فعلمهما ولا لوم
عليك فى أن ينفذ فى ذلك جميع ما أتركه لهما •

فلما مات الأب أقبل الصوفى على تعليمهما الى أن انتهى ذلك النذر
اليسير الذى كان قد تركه لهما أبوهما . وتعذر على الصوفى أن يقوم
باطعامهما . فقال لهما :

اعلما أنى قد أنفقت عليكما ما كان لكما . وانى رجل فقير زاهد ليس
لى مال فأواسيكما به . وان أصلح شيء أراه مناسبا لكما أن تلجأ الى
مدرسة كأنكما من طلبة العلم فتحصلا على القوت الضرورى الذى يعينكما
على الحياة .

ففعلا ذلك . وكان هو السبب فى سعادتهما وعلو درجتهم . وكان
الغزالي يحكى هذا ويقول : طلبنا العلم لغير الله فابى أن يكون الا الله .

وقد كتب المسلمون كثيرا عن فوائد العلم ومزايا التعليم الروحية
والمادية وأثره فى التخلص من الفروق الاجتماعية بين الافراد والوصول الى
أسمى المراكز والراتب ولكنهم لم يقصدوا من العلم هذه الفوائد والمزايا
بل قصدوا بالعلم مرضاة الله ولكن هذه الآثار أتت عرضا من غير قصد .
فالتعليم الاسلامى كان فى الغالب روحيا ولكنه لم يهمل التعلم لكسب
العيش والرزق .

وقد كان هناك علماء من المسلمين يعارضون الكسب بالتعليم ويذمون
العلم اذا قصد به الكسب ، ولاعجب فقد كانوا يقصدون وجه الله بعلمهم .
ويعملون عملا آخر يربحون منه ما يقتاتون فى الحياة فأبو على الحسن بن
الهيثم مثلا كان ينسخ الكتب من المكتبات بأجر وكان غيره يشتغل بالنسخ
أو زراعة الحقول أو أية صنعة من الصناعات لكسب الرزق . وكان هناك
علماء آخرون من المسلمين يشتغلون بأجر فى القضاء ويدرسون بأجر فى
التعليم . ويمكننا أن نقول حقا (ان الغرض الاسمى والهدف الاول من العلم
والدراسة فى التربية الاسلامية هو التربية الخلقية والروحية) والعلم
لذات العلم ، والعلم حبا للعلم فلم يقصد علماء الاسلام من العلم والتعلم
الحصول على وظيفة من الوظائف أو منصب من المناصب ولم يريدوا الجاه
أو القوة والسلطان بل أرادوا العلم للعلم ومرضاة الله وكرهوا أن يكون
الغرض من العلم والدافع اليه ماديا صرفا ولم يقصدوا الكسب بعلمهم ،
بل كان الكسب يأتى عرضا من غير طلب .

ففى التربية الاسلامية كان العلم يدرس لذاته وكان من أسمى أغراض
التربية ولم تكن الناحية المادية هى الباعث الاول على طلبه ، بل كانت
ثانوية تأتى عرضا من غير قصد . فاللذة العلمية والناحية الروحية قد

تغلبنا على الناحية المادية والنفعية وهذا هو الروح المثالي والغرض
الأسمي في التربية الإسلامية .

٦ - دراسة بعض المواد وسيلة لدراسة غيرها . فقد درس
المسلمون اللغة العربية والأدب لانهما يساعدان على فهم تفسير القرآن
والحديث الشريف والفقه الإسلامي . وقد وصل علماء الإسلام الى درجة
كبيرة من التعمق والكمال في العلوم اللغوية كالنحو والبلاغة والشعر
وتركوا فيها آثارا علمية خالدة لا نظير لها في أية لغة من لغات العالم ،
مع انهم كانوا يدرسونها وسيلة لدراسة غيرها .

والخلاصة ان التربية الإسلامية قد عنت بالدراسات الدينية
والخلقية والروحية أولا ثم عنت بالدراسات الثقافية ثانيا . وأهم فرق
بين التربية الإسلامية والتربية الحديثة ان الاولى كانت مثالية هدفها
الأسمي الجانب الروحي والتربية الخلقية الكاملة . فلم يقصد المسلمون
من العلم والتعلم جاها أو مركزا أو وظيفة أو مالا ولكنهم كانوا يدرسون
العلم لذات العلم وارضاء الله فألفوا كتباً قيمة وتركوا آثارا علمية
خالدة الى اليوم .

اما التربية الحديثة فقد تغلبت فيها الناحية المادية والدنيوية
فكل فرد في المدرسة أو الجامعة أو المعهد يريد بعد الانتهاء من الدراسة
وظيفة أو عملا أو مركزا واشتد الصراع والاقبال على التعليم من أجل
الوظيفة والمال وضعف البحث وقل الانتاج العلمي وزالت قداسة العلم
وعظمة العلماء .

وفي الوقت الذي عنت فيه التربية الإسلامية بالقيمة العلمية
الروحية لم تهمل العناية بالمواد الثقافية والاعداد المهني والتدريب
العملي والتفكير في الحياة . عملا بقول الرسول الكريم : « اعمل لدنياك
كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

ولا نبالغ اذا قلنا ان العالم اليوم في حاجة الى التربية الإسلامية
تلك التربية المثالية الروحية الخلقية الدينية ، حتى نتعلم لذات العلم ،
ولذة العلم ، ونخلص من الفساد والشر والريذة ، والشره والطمع ،
والاستعمار والطغيان ، والحروب وويلاتها ونتمتع بحياة هادئة .
وحرية تامة وعدالة مطلقة وسلم دائم وعيشة تعاونية ديمقراطية
سعيدة .